

## الفن وسؤال الهوية في المنسوجات التشكيلية العربية

بسمه بنت علي منصور: بوشمة 6031، قابس، تونس.

تاريخ القبول: 2022/2/15

تاريخ الاستلام: 2021/ 9 / 28

### Art and the Question of Identity in Arab Fine Textiles

*Besma Ali Mansour*, Bouchama 6031, Gabes, Tunis.

#### Abstract

This article discusses ways of dealing with "identity" in the Arab plastic achievement through artistic textile works, the extent to which digital art is adapted to serve the heritage, and consolidate it through textile technology to go beyond artistic familiarity and develop new technical concepts bet by spreading the aesthetic and intellectual dimensions of the Arab identity with reference to the descriptive analytical approach to reading works of art. Fact, the result of this article has demonstrated the importance of opening up the past to the present, its response to digital thinking, the ability of the artwork to interact with the artist's perceptions and requirements, and the very need to inoculate and entrench identity in Arab art.

**Keywords:** Identity, Heritage, Digital Art, Artistic Textile Works

#### الملخص

تناقش هذه المقالة سبل تناول (الهوية) في المنجز التشكيلي العربي من خلال المنسوجة الفنية، وما مدى تطويع الفن الرقمي لخدمة الموروث وترسيخه عبر تقنية النسيج لتجاوز المؤلف واستحداث تصورات تقنية جديدة رهانها نشر الأبعاد الجمالية والفكرية للهوية العربية. معتمدين في ذلك على المنهج الوصفي التحليلي لقراءة الأعمال الفنية. دلت نتيجة هذه المقالة على أهمية انفتاح الماضي على الحاضر واستجابته للفكر الرقمي وقدرة العمل الفني على التفاعل مع تصورات الفنان ومتطلباته وضرورة تأصيل الهوية في الفن العربي.

**الكلمات المفتاحية:** الهوية، الموروث، الفن الرقمي، المنسوجة الفنية

## المقدمة

ما من شك في أن مسألة الأصالة والمعاصرة لا تزال تستهوي الفنان والباحث على حد سواء، فالساحة الفنية العربية تسعى إلى تأسيس علاقة مع تراثها باستلهاً العلامة والرمز كمورث ثقافي وفني ضمن تجاربها التشكيلية ونذكر في هذا السياق "عندما تأسست المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم كان الهم الأساسي الذي يشغلها هو تحقيق الاستقلال الثقافي وإيضاح الهوية القومية. ولقد توجت جهدها هذا في السفر الرائع الذي أصدرته عام 1985 تحت عنوان الخطة الشاملة للثقافة العربية. ولم تقتصر منظمة اليونسكو على دعم الهويات القومية والذاتيات الثقافية التي كانت المحور الأساسي لفعاليتها في مجال التراث والفن" (Al-Bahnsi, 2004: 50).

إن سفر الموروث وتنقله عبر الفنون التشكيلية يعبر عن المواطن والهوية. ويتخطى الرؤية المعهودة له بل ويتخطى الفكرة الدلالية لتلك الرموز؛ فالخمسمة أو العين أو الهلال... رموز كانت لها دلالات في زمن ما، لتصبح اليوم أيقونة للأثر الفني، وتكشف دعوة المعاصر للأصالة، ورهان "هذه الدعوة يعني تحقيق أصالة في الفن متجددة ومرتطورة ومرتبطة بطموحات الإنسان، فالمعاصرة هنا تعني التقدم، تعني التجديد وتعني الإبداع، وقد نقترح عنواناً جديداً لهذه الدعوة فنقول إنها الأصالة والإبداع. ولكي نضع هذه الدعوة أمام أهدافها الصحيحة وننقذها من محاولة التوفيق التي يسعى إليها كثير من الذين تحدثوا في هذا الموضوع بتردد واضح، وبتبني سطحي لهذه الدعوة" (Al-Bahnsi, 1980: 35)، فهي دعوة تحمل في ثناياها قوة المسؤولية الفنية وعمق البحث الفني، فإن استدعاء المورث الثقافي هو اختبار في حد ذاته للفنان، اختبار يضعه أمام سؤال كيف نستدعي الماضي ليمثل في الحاضر وفي ذات الوقت يفتح على المستقبل؟ رهان فني يعمل على تصحيح الرؤى السطحية والبسيطة في كيفية تناول كل ما هو تراثي. فإن نجعل من التراث موضوعاً ومنطلقاً ومادة بحث فني، يعني تخطيط مسبق وفكرة ذهنية وقعت في ذهن المبدع دغدغت أنامله لينقل الصورة الذهنية ويحولها إلى صورة مادية مرئية تعبيرية تصل الماضي بالحاضر لتعبر عن معاني الهوية الوطنية.

إن استدعاء معاني الهوية كمرجع فني يحمل معاني جمالية، تتناغم إيقاعاته بإيقاعات رؤى الفنان الخاصة، لهو دليل قاطع على تجذره في صلب التراث، بل انغماسه وسريانه داخل عروق الماضي وما يضمه من رموز وعلامات، سريان يؤكد تعرف الفنان على معانيها ودلالاتها، معرفة تأتي عن قصد أو غير قصد لتؤثر بحضورها على النفس وتستهوي المتلقي لتأملها، حضور يأتي للاستفادة من أبعادها الجمالية، وتصيح أشكالاً تسكنها معاني فلسفية وتشكيلية ذات طابع مخضرم، تستدعي لقراءتها والبحث حول ما تستكينه من معان جديدة وتنظر إلى معاني الهوية الوطنية نظرة بحث تساؤلية تجمع بين الماهية ومدى تفعيله في ربوع الفن المعاصر، تفعيل يحمل الإبداع بين طياته ولا يسقطه في متاهات (غربة الحضور) داخل الماضي والحاضر، وإنما تجعل منه منبعاً للفكرة الذهنية، فكرة تجعل من الأصيل يتعايش داخل محيطه الجديد، لا فكرة تسقط المادة إسقاطاً داخل فضائها الفني وترغمه على التعايش، دون الاستفادة من طاقاتها الجمالية والتشكيلية، بل تحول هذه الرموز والعلامات التراثية إلى موضوع بحث يهتم بالابتكار والإبداع.

فالمسألة إذن، لا تنحصر في دعوة معاني الهوية لتقييم في فضاء فني عصري، وإنما في كيف يقع التعامل مع سؤال الهوية ليمثل في الأثر الفني ويرسخ معاني الوطنية، وفي الوقت ذاته يحمل صفة الإبداع. فرهان الدعوة تنشيط المألوف وجعله يحمل صفة غير المألوف، وهو ما نشهده في التجارب الفنية العربية المعاصرة، مثل تجربة الفنان الجزائري رشيد القرشي، والتونسي علي ناصف الطرابلسي، والمغربي فريد بالكاهية وغيرهم، تجارب وجدت في الرموز والعلامات التراثية معينا تغترف منه، ليعج سطح العمل بتكوينات مختلفة حيث يلتقي التناظر بالتقاطع؛ الخط والحرف رموز تتكرر وأخرى تتخفى خلف الأشكال والألوان، نظام وفوضى، حركة وثبات... تكوينات تنشط فضاءه لتشدنا إلى الحقيقة وترجعنا إلى جذورها، غير أنها ليست

هي الحقيقة المألوفة، بل هي إحياءات وسراب من الماضي انطبعت في العمل لينفتح على زمانه الجديد، فتحوله إلى عمل يعبر عن الأصالة والمعاصرة بمعنى "تحقيق أصالة في الفن متجددة ومتطورة ومرتبطة بطموحات الإنسان، فالمعاصرة هنا تعني التقدم، وتعني التطوع نحو التجديد وتعني الإبداع... وقد نقترح عنواناً جديداً لهذه الدعوة فنقول إنها الأصالة والإبداع" (Al-Bahnsi, 2004: 35)، وكأن بالفنان هنا في رحلة بحث روحي، يبحث عن ذاته، ليشكل بالهوية هويته الفنية. رحلة جمع فيها جميع اختباره الفنية، حيث المعرفة بالمتخيل الذهني، والتقنيات مع الخامات المقدمة، ليضع باختباره المتلقي أمام أعمال مشبعة تشكيميا ونظريا، توحى بالتشابه لكن تنفي التشابه، لا تعبر عن شيء سوى ذاتها أو ربما تبرز قدراتها ومدى انفتاحها وتأقلمها مع مجالها الجديد. تأقلم يدفعنا لتساءل عن سر تأقلمها وإقامتها في ربوع الحاضر، أهي بساطة الشكل أو جماليته أو ثراؤه التاريخي؟ أم هي قدرات الفنان التشكيلية التي جعلته يفتح ويتعايش مع زمانه، ليتجذر من جديد، ولكن بحلة مخالفة؟ أشكال يقودنا لتؤكد على القدرات التعبيرية للرموز والعلامات وقدرات الفنان الفنية، فالتأقلم يعني التعايش والانسجام، فلتنسجم الأشكال على سطح العمل وتوحى بالتنام، تفسير قاطع لإمكانيات الفنان التسييرية لخاماته وأشكاله، فالتقاء الخط بالرمز واللون يخلق إيقاعا خاصا، إيقاعا يكشف قدرات الفنان التشكيلية ليحول الفضاء من اللاممكن إلى الممكن. ويترجم أيضا مدى إمكانية الفن التشكيلي في ترسيخ الهوية الوطنية عبر تقنياته المختلفة. ولكن أمام هذا الرهان الفني هناك أزمة فنية خلقتها العولمة عبر الفن الرقمي وانحراف عديد الفنانين عن سؤال الهوية في الفن؟ وبذلك اتخذ منحى تشكيلي معاصر يجعل من التفعيل الرقمي منهج بحث جديد يقوم على استخدام برمجيات إلكترونية تقدم لغة تشكيلية حديثة تتماشى مع التطور العلمي.

#### أشكالية البحث

يطرح البحث الأشكاليات التالية:

1. أي دور تقدمه الفنون، وخاصة المنسوجات التشكيلية، في العالم العربي لترسيخ معاني الهوية؟
2. كيف يمكن تطويع الفن الرقمي وتحويله من عائق لمعاني الهوية إلى عنصر فاعل؟

#### أهداف البحث

1. دراسة مقومات الهوية العربية في بعض التجارب العربية.
2. تطويع الفن الرقمي لخدمة الهوية وترسيخها عبر تقنية النسيج.

#### أهمية البحث

1. إلقاء الضوء على أهمية النهل من التراث والبحث في سبل تناوله بأساليب معاصرة.
2. الانفتاح على تجارب عربية مختلفة في فن النسيج.
3. تسليط الضوء على التجارب الرقمية كعامل فني يتيح للمنسوجة الفنية تجاوز المألوف واستحداث تصورات تقنية جديدة.

#### فروض البحث

1. تطورت أساليب البحث الفني في تقنية النسيج من بحوث يدوية إلى بحوث رقمية ارتبطت في مجملها بالهوية العربية والوطنية.
2. انه يمكن المحافظة على الهوية في ظل التطورات الرقمية.

#### منهجية البحث

سوف يتبع البحث المنهج الوصفي التحليلي.

## حدود البحث

1. يقتصر البحث على تناول أهمية حضور مقومات الهوية في العمل الفني وأساليب توزيعها في فضاء المنسوجة

2. استلهم التراث العربي في المنسوجة الفنية وعرض نماذج من الأعمال التشكيلية الرقمية واليدوية.

## أ. الفنون المعاصرة ومسألة الهوية

وجّهت عديد التجارب الفنية العربية مواضيع أعمالها حول أهمية ترسيخ معاني الهوية، بالبحث في أساليب جديدة تثنى الإرث العربي وتثري في الآن ذاته الخطاب التشكيلي بمعاني الأصالة والمعاصرة. فالفن لا يعد مجرد وسيلة نبحث من خلالها عن الإبداع والخروج من الركود اليومي من مظاهر وصور وأشياء نسعى بتحويلها باسم الفن إلى لوحات تشكيلية بل هو طموح الفنان الذي يدفعه ليفوص في اغوار الماضي، فيبحث عما يمكن أن يقدم الفن للهوية الوطنية؟

ونظرا لتعدد التجارب الفنية في هذا الإطار، ارتأينا أن نوجه ورقتنا العلمية حول فن النسيج المعاصر في بعض التجارب التشكيلية العربية، ونبحث في مدى حضور معاني الأصالة للتعبير عن الهوية؟ وندرس الأساليب التشكيلية التي اعتمدها بعض الفنانين في هذا المجال؛ مثل تجربة الفنان العراقي علي الطائي، والفنانة المغربية فاطمة ملال، والفنان المصري محمد محي... فالمنسوج الفني يطرح بخاماته المتنوعة مسائل عديدة تدفعنا لنبحث فيه.

فما هي مقومات الهوية الوطنية في هذه التجارب؟ وأي أشكاليات تطرحها بأسلوبها المعاصر؟ وكيف للأصالة أن تتعايش مع المعاصرة وتعبّر عن الهوية العربية عامة والوطنية خاصة؟

يعد فن النسيج من أكثر التقنيات الفنية التي يرتبط في تكوينه وحضوره بالهوية ويعبر عن التراث وتلتقي فيه جميع الشعوب العربية، حيث يعتبر من "القطاعات التي لازمت الإنسان منذ دُب على ظهر الأرض، إلا أنه كان مجال بحث مستمر عبر العصور، وقد تدرج (الإنسان) في صناعتها... ومنذ استخدامه المنسوجات في شؤونه المختلفة لم يشأ أن يقف بها عند حد المنفعة بل عمل على أن تكون إلى جانب وظيفتها الأساسية أثرا فنيا ترتاح العين إلى رؤيته وبيعت الإعجاب في نفوس إخوانه وعشيرته، فصبغها بالألوان ورقم عليها شتى الرسوم والأشكال وجمع بين اللون والزخرفة في الكثير من الأحيان" (Marzouk, 1970: 19).

ولتبلغ المنسوجة الفنية ما بلغت اليوم من إبداع فني يجعلها مصدر بحث تشكيلي، وتمثل في قاعات العرض كل ما مرت به من أشواط كبيرة، منذ أن أصبح ينظر إليها كتقنية قابلة للتشكل لكل ما يفرضه خيال الفنان. فتحوّلت من منسوجة وظيفية وبنفعية إلى منسوجة فنية، مما دفعه وحثه على البحث فيها واعتبارها تقنية توثق التراث بلغة معاصرة وترسخ قيم الهوية العربية والوطنية، والساحة الفنية تزخر بتجارب عديدة.

## 1. تجربة الفنان العراقي علي الطائي: هواجس الهوية

اهتمت تجربة علي الطائي بالهوية العراقية، فسعى من خلال منسوجاته إلى رسم ملامحها عبر تقنيات وخامات مختلفة مُشكلة بحضورها فلسفة فنية جمعت بين الإبداع والأصالة عبر البحث في دهاليز التراث، "فالتراث ليس كيانا ثابتا موجودا هناك، بل إن التراث يسير معنا في رحلة الزمان ولا مفر من أن نعمل على ربطه بحاضرنا وتوظيفه كقوة توجه حياتنا" (Al-Bahnsi, 1997: 102). واعتباره وثيقة لا بد من العمل على ترسيخها واستحضارها ضمن الآثار الفنية المعاصرة، لا طمسها باسم الحداثة والعولمة.

ومثلت أعماله مجالا يلتقي فيه الخط العربي بالرموز والعلامات، ففي العمل الواحد تتألف التقنيات وتتجانس فيما بينها حيث الرسم مع الخيط والنحاس. فهذا الأسلوب الإبداعي يعمل الفنان على ترسيخ الهوية العربية، لأن الإبداع جزء من مكونات فعل (الترسيخ)، عبر شد انتباه المتلقي، لما يتميز به الإبداع من صفات فنية غير مألوفة، لأن الإبداع يعني "الخروج عن المألوف، ولهذا في نظر بودليير كل جميل غريب، لأن

المألوف هو أن يبقى الإنسان سجين نفسه وسجين العالم" (La Cost, (W. D): 7). فهذا التكوين غير المألوف للأشكال والألوان يدفع المتلقي إلى التأمل والبحث في دلائل المنسوجة والتساؤل حول سر تناغمها وانسجامها؟ نظرا لما يحتويه فضاء العمل الفني من خامات متنوعة "كتنوع تفاصيلها ومواضيعها... فمن الضروري أن يكون للفن التشكيلي دور مهم في إعادة اكتشاف الخامات الطبيعية الموجودة بشكل عشوائي في الطبيعة؛ مثل الخشب والمعادن وجذوع الأشجار والحصى وحببات الرمال والصدف وغيرها... وتوظيف خامات أخرى كالزجاج والنحاس والفضة وقطع السيراميك والفخار، ما أعطى شكلا جمالياً آخر لأعماله، متزامناً مع الرسم بألوان. هذا عوضاً عن ألوان الزيت والأكريلك والألوان المائية والخشبية والأحبار، التي صنعت منها العديد من اللوحات والأعمال الفنية، بالإضافة إلى المزج بين أكثر من عنصر ومكون لتكون الحويلة النهائية عمل تشكيلي بطابع خاص ومختلف." (علي الطائي).

من هذا المنطلق الفني عمل الفنان على توظيف المخزون الثقافي رغم أن "سرد الصوف ليس مثل سرد الأحداث والأساطير، وليست الحكاية مثل الحكاية الشعبية التي تتوارثها الأجيال في شكل رموز منقوشة على الصوف... بل يتضمن فن النسيج فردية الذات المبدعة وطريقتها إلى الوجود، بنسجه للصوف إنما ينسج الفنان ذاته" (Quaya (Khalil), 1998)، ونسج الذات هنا يبرز في كيفية تناول المخزون الثقافي لشدة المتلقي وجعل تجربته الفنية ذات غايات وطنية وعربية وهي ترسيخ الهوية في ذاكرته، باستحضارها بحلي عصرية تستجيب وتواكب التحولات الفنية وعدم الزج بها في متاهات الغربة الزمكانية<sup>1</sup>. إن هذا التناول يدفعنا لتتساءل حول طبيعة منسوجاته؟ وعن مقومات الهوية العربية والوطنية فيها؟

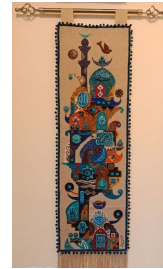
تزرع مسيرة الفنان علي الطائي بعديد التجارب الفنية وكلها تحمل معاني التراث والهوية ولكن لكل مقوماتها الفنية وأبعادها التشكيلية الخاصة بها، وحتى نبين هذه المعاني عمدنا إلى اختيار عمليين ضمن تقنية النسيج. في هذه الأعمال تبرز معاني الهوية بكل دقة ووضوح من حيث حضور الطابع التجريدي للأشكال التي نجدها في العمارة الشرقي، ومن حيث سماتها الهندسية وتوظيف القباب والتناظر والتكرار والتمركز والإيقاع والحركة لبعض الرموز والعلامات التراثية كالهلال والخمسة... ودمجها مع الخط العربي. وتعتبر هذه المكونات من أهم مقومات الإنشاءات الجمالية التي توضح مدى استفادة الفنان من الفن العربي الإسلامي كفن الخط العربي أو فن العمارة أو فن الرقش أو التزييق.



صورة ٢، علي الطائي، منسوجة، تقنيات مختلفة

المصدر: الفنان

[https://www.pinterest.com/pin/48413764734836240/?fbclid=IwAR0zV-mZEkEFZhVVIHXtlG6lPppE\\_Yf4fqQgeA3Kk-PBYdKtQH2BK43NnA](https://www.pinterest.com/pin/48413764734836240/?fbclid=IwAR0zV-mZEkEFZhVVIHXtlG6lPppE_Yf4fqQgeA3Kk-PBYdKtQH2BK43NnA)



صورة ١: علي الطائي، خامات متعددة وسيراميك على

القماش، المصدر: الفنان.

[https://www.pinterest.com/pin/48413764734836240/?fbclid=IwAR0zV-mZEkEFZhVVIHXtlG6lPppE\\_Yf4fqQgeA3Kk-PBYdKtQH2BK43NnA](https://www.pinterest.com/pin/48413764734836240/?fbclid=IwAR0zV-mZEkEFZhVVIHXtlG6lPppE_Yf4fqQgeA3Kk-PBYdKtQH2BK43NnA)

بهذه المقومات يضعنا الفنان أمام صورة مصغرة ومختزلة لمكونات المعمار الإسلامي ولكن بنظرة فنية جديدة من خلال توظيف التجريد والتبسيط والتسطيح والنظام والحركة في كامل المنسوجة، لتتأمل جمالية مكونات البناء الهندسي الإسلامي الذي بدأ يندثر نتيجة للعولمة والانفتاح على الغرب وانتشار المعمار

الغربي. بهذا السياق اللغوي بنيت جميع أعمال الفنان العراقي علي الطائي، فكل آثاره الفنية تحمل معاني الهوية العربية والوطنية خاصة، لتخاطب المتلقي وتدعوه إلى ضرورة استحضار المخزون الثقافي والسعي إلى عدم اندثاره.

ففي جمالية الإخراج الفني تولد قوة التعبير ومتمعة الاحساس ليستدرج عين المتلقي ويستفز أحاسيسه فيتساءل عن معاني الرموز وحقيقتها وأبعادها التاريخية، هنا يربك الفنان المتلقي ويستدعيه للبحث والتفكير والتصالح مع هويته، بهذه الأساليب التشكيلية يسعى الطائي إلى ترسيخ الهوية وتجذيرها في الحاضر، وهو القائل: "أسعى دوماً إلى إبراز صورة الحضارة العريقة التي يتمتع بها العراق؛ من حيث الإرث الحضاري والتراثي والإنساني، لأن العراق كان مهداً للحضارات العريقة ومنبتاً للكثير من الثقافات والأقوام وما تعاقبت عليه من سلالات وحقب زمنية كانت كقيلة بضع الموروث الغني، وأحب دوماً تجسيد تلك المضامين في أعماله وتبسيط الضوء على بغداد القديمة، عاصمة الخلافة، والطابع المعماري الفريد الذي كان يميزها والقباب والمآذن والنخيل الشاهق" (علي الطائي).

## 2. تجربة الفنانة المغربية فاطمة ملال: صور من الذاكرة

مازال الفنان العربي يحفر ويبحث في أعماق التراث عن "الخصائص الجمالية التي يستمدّها كي يغني حوارها مع الفنون العالمية لتحقيق انتصارها وتأكيد حيويتها" (Al-Bahnsi, 2004). وفي تجربة الفنانة العاصمية فاطمة ملال المغربية نكتشف أسلوباً فنياً آخر لتناول المنسوجة والإرث الثقافي. أسلوب جمعت في مضمونه التشخيص والتجريد لتبين لنا مضمونا آخر للساجد، من خلال استغلال الرموز البربرية والألوان لتكون الدافع والمحرض على الإبداع، فأن نعمل على توظيف "التراث هو أن نفعله من جديد ونواصل سيلان المخيال الجماعي. بهذا الشكل يمكن لعلاقة الإبداع بالتراث أن تكون علاقة كون وحيروية واستحالة دائمة من طور إلى آخر" (Quaya, 2007: 39).



الصورة 4: فاطمة ملال، رسم ونسيج،  
المصدر: الفنان



الصورة 3: فاطمة ملال، تقنيات مختلفة (رسم ونسيج)،  
المصدر: الفنان

من خلال هذه النماذج نلاحظ اقتباس الفنانة لبعض خصائص محيطها من ألوان وأشكال ورموز وعلامات، وقع رسمها بأسلوب الفن الساجد، لتعبر بحضورها عن معاني عديدة منها الهوية الوطنية، فنلاحظ وجوهاً ثنائية الأبعاد تكسوها الكتابة البربرية ورموز الوشم، وتوزعها بشكل فوضوي على كامل الفضاء التشكيلي، وتغطيها قطع من النسيج وضعت على اللوحة لتكون عنصراً مكملاً لها لا دخيلاً عليها. إلى جانب الرمز البشري بحركات بهلوانية يتناثر في المجلد ليضفي على العمل حركة أمام سكون الأشكال، وصورة للمنازل الريفية وأشكال العيون والحيوانات وأجزاء من اللباس التقليدي البربري كالعقد. فالفنانة تحاول وصف محيطها الجبلي، وهي التي تعيش في قرية تسمى بولمان داس في إقليم تنغير الواقعة جنوب شرق المغرب وتحمل المواصفات ذاتها لذلك يطغي اللون الترابي والخطوط المنحنية نسبة لشكل المرتفعات وألوانها على أعمالها الفنية.

نحن إذا إزاء تجربة تسعى بمكوناتها إلى ترسيخ معاني الهوية، فالفنانة تستقطب المشاهد لتأمل بيئتها الثرية تاريخياً. وإدراك ضرورة التجذر الحسي والفكري وتبين جمالية إرثها الثقافي. ولعل ما تدركه فاطمة

ملال وتشاهده قد يغيب عن إدراك الآخرين في وسط زحام العولمة، لذلك تسعى إلى لفت الانتباه إليه وترسيخه قبل اندثاره عبر تحويله إلى لوحات تشكيلية أو كما أشار إلى ذلك الفيلسوف (برغسون) في كتابه الضحك بقوله "بين الإنسان وبين إدراكه يوجد حجاب، حجاب سميك بالنسبة للإنسان العادي وحجاب رقيق وشفاف بالنسبة للفنان والشاعر" (Bregson, laughter). فما يقع في الذات الفنية قد يغفل عنه الإنسان العادي، لأن ما يقع في الذات الفنية قد لا يتفطن له الإنسان العادي فالفرق بينهما أن الفنان قادر على أن يخلق من التجارب التي يمر بها شيئاً له كيان مختلف عن التجارب التي كانت الأصل في العمل الفني... أما الإنسان العادي فتظل تجارب الحياة قائمة في شعوره... قد ينساها وقد لا ينساها، ولكن المهم أنه غير قادر على أن يخلق منها شيئاً مختلف عنها" (السيد، 1985).

لقد اتكأت التجربة الفنية لفاطمة ملال على ما ترعرعت عليه، لتجسد في لوحاتها انعكاساتها وتصوراتها، ومدى تأثيرها بعالمها المشحون بالمعاني الفكرية التي بتطويعها تضيء على العمل الفني روعة التأثير وجمالية الفكرة بإيجاد أساليب جديدة لتبليغ الفكرة وتقديم مشهد غير مألوف للرموز والعلامات المألوفة، مثل الكتابة البربرية أو رموز الوشم التي تحولت مكوناً أساسياً ومؤثراً رئيسياً لأعمالها.

### 3. محمد محي: منسوجات تحاكي الفلكلور المصري

"كل تعبير فني يضطر كي يصل إلى النفس إلى أن يلجأ إلى واسطة، لا واسطة الحواس بل اللذة الحسية. فما من لوحة مصورة إلا وكانت قبل كل شيء مصدر لذة للعيون، وما من موسيقا إلا وكانت بالضرورة ممتعة للأذن، وما من شعر إلا وكان ملاطفة" (Bertlemy, 2011: 492). وتجربة محمد محي سعت إلى جذب العيون بأشكالها الحية منطلقاً من المخزون المصري لتقص لنا تجربة الحياة المصرية بطابعها البدوي، ولتحمل منسوجاته توثيقاً لمستجدات الحياة في الريف والمدينة وتوضح حياة المستشرقين، فللهولة الأولى قد تخدعنا أعماله ونظنها لوحات زيتية لشدة التشخيص والرسم. مبرزة ملامح الهوية العربية والوطنية بكل دقة، فالفنان استلهم مواضيع منسوجاته من التراث العربي والإسلامي والفرعوني. وتعد تجربته من بين التجارب الفنية التي نستشف فيها خطاب التأكيد على ضرورة أن يكون الفن توثيقاً وترسيخاً لمعاني الأصالة. حيث بساطة الريف تظهر بشكل جلي من خلال البيوت والدواب والمزارع ونهر النيل والأشخاص بلباسهم التقليدي (العمامة والحبة...). مشهد وإن كان مختزلاً إلا أنه صور طبيعة الحياة اليومية. الصورة 5.

كما عمل الفنان على النهل من أحداث التاريخ والواقع اليومي صوراً ومشاهد ذات رسائل حقيقية في الشكل واللون لتعبر في مضمونها عن الخصوصية المصرية والعربية، حيث الأسواق التجارية بحركتها وسكونها وبمئلها وفراغها. فالفنان لم تعجزه الإضاءة وتدرجاتها أو الجزئيات الصغيرة، فجميع التفاصيل يعدها ضرورية وذات معنى ومكملاً للأحداث ويجب نسجها.

لم تعد أعماله تعبر بمكوناتها عن علاقة الفنان بعمله الفني بل جعل منها حلقة وصل بين الماضي والحاضر، فهذه المشاهد التي اعتدنا رؤيتها في اللوحات الزيتية المصرية مثل أعمال محمود سعيد ومحمد ناجي وراغب عياد. اتسع مجال حضورها الفني لتندرج ضمن تقنية النسيج، مما يؤكد رغبة الفنان وسعيه إلى ترسيخ الثقافة الشعبية والمحافظة على الهوية العربية عبر تطويع المنسوجة وجعلها تتصل بالرابط الدموي والعرقى عندما يقع استحضار تفاصيل الحياة "من مناظر طبيعية، وتكوينات من البيئة المصرية، والتراث العربي والإسلامي، إلى جانب أعمال المستشرقين التي تبرز أصالة وروعة الحضارات والطبيعة في المنطقة، إضافة إلى الآيات القرآنية، واستلهم بعض الأفكار من الحضارة الفرعونية" (عبد الحليم، الشرق الأوسط).

لتصبح أعماله بهذا الحضور الجسر الذي يربط الذات مع ماضيها لتصل الواقع بالذكريات... محاولة منه المحافظة على الصنعة التي ورثها من جده ليكون الموروث فضاء يرسخ التراث، وبحضوره محافظة منه عن

الهوية واستمرار المهنة. فمسألة الهوية لم تعد ترتبط في تفاصيلها بالموضوع فحسب بل بالمحافظة على الحرفة المتوارثة عن الأجداد. "لأن النسيج اليدوي، من أقدم وأعرق الصناعات اليدوية والتراثية في مصر، فقد توارثته الأجيال على مدار القرون الماضية" (عبد الحليم، الشرق الأوسط).

لقد انطلقت بنا تجربة محمد محي من الواقع لتقدم لنا واقعا بلغة تشكيلية حيث التقنية تمنح المشهد المحاكي رؤية فكرية وتقدم لنا الواقع بحلة تاريخية وتوثيقية، وكأنها دعوة للتأمل والتفكير ورؤية الموضوع بعين الفنان "إن ليست الغاية من محاكاة الطبيعة نقل الصورة وجعلها مرئية ومقروءة، بل ترجمة هذه الطبيعة وتأويل أشكالها في مساحات وخطوط مبسطة ومختزلة" (Amhaz, 1996: 113)، وذلك باكتشاف الأبعاد الخفية في واقع ما يشدنا ويدفعنا إلى ضرورة التجذر فيه. هنا تكمن رهانات الفن فالأزمة هي أزمة تدبر وعلى الفن أن يلفت الأنظار إلى جمال الماضي واستحضاره في الحاضر وبالتالي المحافظة عن الهوية فهي كما عبر عنها الفيلسوف (لا شيلبي) "شيان اثنان فقط يكونان حقا هويتنا: نقاء طبعنا وترابط ذكرياتنا" (Said, 2007: 443). وفي الذاكرة ما يستدعي توثيقه فنيا ودراسته تشكيليا لأن "ثقافة أي أمة تتكون من ركيزتين مهمتين إحداهما شفوية مأثورة بين الناس وتتناقل وتستمر عبر الذاكرة وهي تمثل مادة البحث الفلكلوري والثقافة الشعبية للمجتمع، والأخرى مدونة ومؤرشفة تمثل مادة البحث التاريخي" (Ayoub, 1977: 23). لذلك لا بد من تداول الإرث الثقافي ونشره لتظل رحلة استمراره ووجوده.



الصورة 5: محمد محي، منسوجة بوجهين متشابهين بخيوط القطن والصوف الطبيعي، 100سم\*120سم، 2009م. المصدر الفنان



الصورة 6: محمد محي، سوق السجاد، منسوجة بوجهين متشابهين، بخيوط القطن والصوف الطبيعي، 230سم\*230سم، المصدر الفنان

لقد أصبح الفن وعاء كبيرا يسعى الفنان إلى ملئه بهواجسه وأفكاره وانفعالاته، ليوثق التاريخ والأحداث. ويدمج الحاضر مع الماضي، وبحسب تعبير الاستاذة أم الزين بن شيخة "ليس ثمة قطيعة بين الماضي والحاضر، بل ثمة تاريخ فعال وفهم متجدد وعالم يأتي إلينا ممتلئا برمزيته وأعراسه. نحن دوما جزء من تاريخنا الخاص ولا يمكننا بأي شكل أن نفصل عنه. إن الفن يجلب لنا معه عالمه إلى حد التلاحم بين آفاق الماضي وآفاق الحاضر. ماضينا ليس وراءنا بل هو متجدد فينا دوما بقدر تنشيطنا للمعاني القادرة فيه على توحيدنا وغرس الألفة بيننا" (Ben Sheikha, 2014: 182-183). إن طرح الفن لموضوع الأصالة والمعاصرة ليس إلا إدراك منه لخطر اندثار الهوية العربية أمام ما يدعو له الفن الحديث من خطابات تشكيلية مضمونها اللامعنى والتجديد وطمس معالم الصورة مثل الفن اللاموضوعي، ومضمون هذه الدعوة هو "ربط الأثر الفني بالعالمية متخليا عن ميزاته القومية" (Al-Bahnsi, 2004: 44)، لذلك نجد اليوم عديد التجارب الفنية التي تحمل في مضمونها معاني الهوية مثل: تجربة الفنان الأردني نصر عبد العزيز الذي وثقت أعماله الفلكلور الأردني وتمحورت جل أعماله حول التراث وتوظيف الزخارف الشعبية، وكذلك الفنان الأردني ياسر الدويك، وتتراوح أعماله بين الخط العربي ورسم الأماكن الفلسطينية. "فالفنان الأردني مثله مثل إخوانه الفنانين العرب يحاول الربط بين تقنيته وأدائه المبني على دراسة الفن الغربي، وجذوره المحلية والعربية،



فيصل إلى ذلك إما باستلهم تاريخه النبطي أو الإسلامي واستعمال الحرف العربي في تكويناته الخطية أو الاعتماد على الموضوع المحلي في تأكيد هويته الفنية" (Al-Hachemi,1996: 37).

كما تناولت بعض التجارب التونسية معاني الهوية في الرسم والخزف والنسيج؛ ولعلنا نذكر هنا "علي بن سالم، صاحب الخطوط الزخرفية الشرقية، وعمار فرحات، رسام الوجوه القروية، وجلال بن عبد الله، رسام المنمنمات، وحاتم المكي، الذين كونوا الجيل الأول من الرسامين التونسيين، وكان أكثرهم ينقل العادات والتقاليد والمناظر الطبيعية والقروية والوجوه التونسية بالألبسة القومية" (Al-Bahnsi,1980:57). ونذكر أيضا في هذا السياق بعض التجارب الفنية الجزائرية المعاصرة مثل محمد ازميرلي، المغرب بتصوير المناظر الجزائرية الخلابة، وابن سليمان، وفراح، وبوكرش، وباية التي لمع اسمها، إذ عرضت في باريس وهي طفلة لم تتجاوز سن الثالثة عشرة سنة، ويتميز فن باية بالفطرية وبالتكوينات الزخرفية الجميلة الساذجة" (Al-Bahnsi, 1980:58).

فالساحة الفنية العربية تزخر بعدد الأسماء الفنية التي تسعى إلى ترسيخ الهوية وتثمين التراث واعتباره جزءا من الهوية الوطنية والسيروية الحياتية، ويجب أن يواكب العصر والتحويلات الفنية عبر البحث في أسراره ومكوناته الجمالية والبحث في أبعاده، وما زالت عديد الدول العربية كالمغرب العربي تحتفظ بروائع وأثار الماضي التي تؤكد عراققة الفن فيها" (Al-Bahnsi, 1980:57).

ولكن أمام هذا الحضور المكثف والداعي إلى أهمية الهوية وضرورة ترسيخها عبر الفنون وخلق أساليب جديدة للتعامل معها، يظل سؤال الهوية قائما أمام التحويلات العالمية والتغيرات التشكيلية خاصة مع بروز الفن الرقمي وظهور تيارات فنية تدعو إلى تجاوز معاني الأصالة والتراث وخوضي غمار البحث لإنتاج خطاب تشكيلي جديد يواكب التحويلات التكنولوجية، ويعمل على صناعة صورة تتجاوز المألوف البصري والفكري. فكيف يمكن الحفاظ على الهوية في ظل الزحف التكنولوجي؟ وهل يمكن تطويع العامل الرقمي لتوسيع مجالات تقنية النسيج؟

### الفن الرقمي وأزمة الهوية

يعتبر الفيلسوف (فالتر بنيامين) "إن الوسائط التي تخلقها وسائل الاتصال الحديثة تؤثر في رؤية الفنان وفي تشكيل عمله الفني" (Youjelton, 2009: 88)، لذلك نشاهد اليوم -مع ظهور الفن الحديث خاصة- انقسامًا بين الفنانين لئجد من يدعو إلى البحث في الأصالة والمعاصرة، ومن يدعو إلى فن سريالي والمشهد التجريدي وغياب المعنى، لتندثر معه معاني ترسيخ الهوية، وتتعاقد بعده التيارات الفنية المساندة والباحثة عن خطاب تشكيلي جديد يخترق المألوف ويعمل على طمس ملامح الصورة المقروءة. وكان أن تأثر عديد الفنانين الشرقيين بهذه الاتجاهات الفنية وعمدوا إلى الانزياح وتبني الخطاب الفني الغربي، وقد تطرق الدكتور عفيفي بهنسي إلى ذكر التجاذبات الفنية بقوله "لقد ازداد ارتباط الأساليب الفنية العربية بالتطور التشبيهي الغربي، منذ أن تحول الفن في الغرب في القرن الماضي، نحو تحوير والابتعاد عن الواقع، أي منذ الانطباعية والوحشية والتعبيرية وحتى السريالية، واستمر التحوير يأخذ مداها، وأصبح هوة هذا النوع من التصوير المبسط يزدادون اتساعا" (Al-Bahnsi, 2004: 230).

فهل يجب علينا أن نعتبر الفن الرقمي أحد الأسباب الرئيسية لأزمة الهوية، أم أن علينا اعتباره طوق نجاة لترسيخ الهوية والاستفادة من مؤثراته البصرية وتقنياته المتطورة في ظل ما يقدمه الفن الحديث خطابات تدعو إلى تهجين الأصالة والصورة المقروءة؟

نعيش اليوم في ظل العالم الرقمي الذي ساهم في تغيير مسار الحياة ولامس عديد المجالات، ولا يعد الفن بمعزل عن هذه التغيرات<sup>2</sup> بل بفضل تكنولوجيا الوسائط أصبح بالإمكان طباعة أعمال فنية رقمية بأحجام متنوعة ومحامل مختلفة. وتحولت معه المعارض إلى معارض رقمية يمكن متابعتها وحضورها عن بعد، ما

نريد الإشارة إليه؛ أولاً؛ إن العالم الرقمي له إيجابيات علمية وعملية تعود بالفائدة على الفنان والمتلقي والباحث على حد سواء؛ وثانياً؛ البحث عن منابع الأزمة ومحاولة معالجتها قبل استفحالها" حيث يتميز الحاسوب بأن لديه القدرة على الإنشاء والحركة، وإنتاج أشكال متنوعة من أعمال ثنائية أو ثلاثية الأبعاد، تم إنتاجها بعدة وسائل مثل الصور الرقمية والصور ثلاثية الأبعاد الثابتة والمتحركة ومعالجة الصور، بالإضافة إلى السماح بحدوث التفاعلات والتعديلات اللازمة" (Ismail Shawky. w. d)، فنحن لا ننكر القدرة الخارقة للتكنولوجيا وتمكنها من احتلال مكانة الرسم المسندي وتقليص المسافات، وتقديمها الحلول اللونية والشكلية الكافية، فالحاسوب يملك إمكانات متنوعة يمكن العمل بها كالتكرار والتنوعات الضوئية والإيقاع والتباينات اللونية المتنوعة" لذا كان لزاماً على الفنان أن يعايش هذا الواقع، ويعبر بلغة جديدة ومتطورة عن حقيقة هذا العصر الذي تسيطر عليه التقنية التكنولوجية، والنظم التجريدية ويسوده الفكر التجريبي، وتميزه الإيقاعات الدينامية السريعة، وبخاصة بعد أن ضاعفت التكنولوجيا الحديثة من إمكانات الإنسان وقدراته على الإبداع في الفن، كما وسعت من تصورات وعمقت إحساسه بالجمال وتدوقه له، بل استخدمت قيماً جمالية جديدة لم تكن تدور في خلد إنسان الحضارات" (Sayed, 1992: 2). إلا أن الانخراط والالتقاء على الحلول الجاهزة والبحوث المقدمة من قبل الذكاء التكنولوجي قد يضعنا أمام عجز فني بشري، ينتعش بالفعل الرقمي ويركد بغيابه. لذلك لا بد من السعي إلى محاولة إيجاد خطاب تشكيلي يجمع بين الفن الرقمي والفن البشري، لخلق وسيلة تصل البحث الرقمي بالتفعيل التشكيلي وتجاوز الأسس البحثية المعتادة وإحداث تصميمات متنوعة من حيث المضمون والشكل وتقديم أشكال لا يمكن الحصول عليها إلا بتدخل الوسائل الرقمية في الإخراج والتنفيذ عبر مزج التقنيات الرقمية ضمن الممارسة التشكيلية، وبالتالي ولادة مفاهيم فنية تجمع الفكري الرقمي بالبحث الفني البشري الذي يقترحه الفنان، مثل التحليل، والتجريد، والتحوير، والتسطيح، والمبالغة، والانسائية، وإعادة التركيب، والتفكيك، والاختزال... وإحداث نقلة في المضمون والشكل تصلنا بنا إلى المزاوجة بين الخطاب الرقمي بالتشكيلي، وإحداث أساليب تعمل على تطويع الرقمنة للفكر التشكيلي مما يمكن الفنان من تقديم تصورات رقمية للأشكال والرموز. "ف نجد تطبيقات الفن الرقمي استطاعت تزويد الفنان بأدوات متنوعة ومعبرة وإبداعية وفي نفس الوقت تعطي أسلوباً أكثر واقعية في التفاعل من خلال محاكاة أدوات العمل الواقعي" (Baxter, William Valentine, 2004).

بهذا الأسلوب يكون العمل الفني تألّفي يجمع بين الرؤية الافتراضية والقدرات الفنية. إذا "لا ينبغي أن نقصي شيئاً من دائرة إعجابنا، بل يجب أن نتعلم كيف نحب كل شيء" (Recor, 2011: 95). عبر تقسيم الأدوار وخلق لغة حوارية بين الحاسوب والفنان. هنا يكتمل العمل الفني بين باحث ومقترح، عمل يجمع الفنان الباحث بالمقترح التكنولوجي وبالتالي اعتبره فناً جديداً لا فناً بديلاً.

كيف يمكن تطويع الفن الرقمي لخدمة الهوية الوطنية؟

### 1. تجربة الفنان التونسي الناصر بالشيخ: الرقمنة والهوية

يعد الفنان الناصر بالشيخ أحد أعمدة الفن التشكيلي التونسي، فقد ساهم في وضع الأساس التشكيلي الأولي للفن في بلاده، أي منذ ولادة مدرسة تونس الفنية إلى الفن الرقمي، له عديد المعارض المحلية والدولية، أنتج عديد الأعمال الفنية التجريدية، له عديد الكتابات حول الفن التشكيلي التونسي والدولي. ويواكب بالشيخ اليوم التحولات الفنية العالمية لينجز أعمالاً فنية رقمية تحمل في أبعادها رؤية جديدة واتجاهاً جديداً ينضاف إلى مسيرته التشكيلية ويقع تقديمها عبر صفحته الافتراضية. لتعمل التكنولوجيا بذلك على عرضها في المساحات المفتوحة كتوتير وفيسبوك، وفي هذا السياق يقول الأستاذ والفنان التشكيلي سامي بن عامر "صحيح أن التكنولوجيا الحديثة كما الاكتشافات والتقنيات السابقة وظفها الفنان واستغلها في إنشاء أعماله الفنية وفي توزيعها أيضاً. واليوم أصبحنا نتعايش مع التكنولوجيا معاصرة ساعدتنا على تطوير علاقتنا فيما بيننا وقربتنا أكثر فأكثر من جمهور الفن. ومن المؤكد أن الفنان بصدد توظيف

فضاءات الفيسبوك وتويتر ليستغلها على مستوى الانتشار والتعريف بأعماله الفنية مما يسمح له بتوزيع أعماله على آلاف الناس في ثوان معدودة، وهذا الشيء جميل مقارنة بالعروض القديمة... ويبقى العرض في الرواق والحضور المباشر للجمهور لاكتشاف العمل الفني بطريقة حسية مسألة هامة فهو ما يعطي للفن جلاله" (درغوئي مجلة الحياة الثقافية).



الصورة7: الناصر بالشيخ، تركيبة لأوراق القيقب، فن رقمي، 5جويلية 2021، الفنان، موقعه في Face boke



الصورة8: الناصر بالشيخ، كليم القلعة سوسة، فن رقمي، 7، ٧ جوان 2021، الفنان، موقعه في Face boke

نحن إذا أمام تجربة جمعت في مخزونها الفني بين التقنية اليدوية والرقمية. تعمل على تفعيل الثورة الرقمية وإدراجها كتقنية عبر تطويعها كوسيط إثرائي للوحدة الشكلية، عبر الاعتماد على أشكال جاهزة وتقديمها بأبعاد فنية جديدة عبر الاستعانة بالوسائط الرقمية، فما نلاحظه عبر النماذج المقترحة للدراسة حضور التكرار والتناظر والحركة والأشكال التجريدية والتسطيح وخاصة في العمل7. فالفنان يستدعي في منجزاته الرقمية مقومات الفن الإسلامي، تكرار المفردة التشكيلية وهي كما يعرفها الأستاذ الحبيب بيده هي "شكل بسيط ينتج تكراره شبكة من المفردات ويكون هذا التكرار حسب اتجاه أو اتجاهين أو عدة اتجاهات" (Bidah, 1988.) يطوِّع الفنان الوسيط الرقمي ليكون جزءاً من إنشائية العمل الفني، عبر استحضار مؤثرات بصرية ليخلق لغة فنية يعمل من خلالها إلى استحداث أفكار جديدة تختلف مع منجزاته السابقة، فنجد إلى جانب المقومات السابقة حضوراً للذبذبة البصرية نتيجة لتكرار الأشكال واختلاف أحجامها واتجاهاتها، ولعلنا نذكر في هذا السياق تجربة الفنان (فيكتور فازارلي) وهو رائد الحركة الفنية الخداع البصري. فالناصر بالشيخ وإن سعى إلى خلق رؤية تشكيلية تنحرف عما ترعرع عليه إلا أنه يظل مقيداً بإرثه الثقافي وما شاهده وعلمه وتعلمه في السابق.

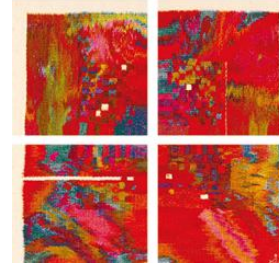
إن مرحلة إنشائية العمل ضمن الفن الرقمي تقوم على مراحل متتالية واختيارات ذاتية، تنطلق باختيار منطلق ثم إدراج صورته في البرمجيات الإلكترونية مثل (Photoshop Illustrator Paint 3Virtual DJ)، وفي مرحلة تالية يقع اختيار العروض المقدمة من قبل الوسيط التكنولوجي. وهو ما يتأكد أكثر في النموذج الثاني من أعمال الفنان الناصر بالشيخ والذي أطلق عليه اسم (الكليم القلعة)، نسبة إلى إحدى المنسوجات التقليدية بمدينة القلعة التابعة لمدينة سوسة. إن أول ما يلفت نظرنا لهذا العمل الرقمي طبيعة اللون الذي يذكرنا بالمنسوجات التقليدية وقلما يقع توظيفه في اللوحة التشكيلية. ليتضح لنا أن المنطلق جزء من صورة (للكليم) وقع تحويلها بالبرمجيات الإلكترونية. لتساءل عن شكل المنسوجة رقمياً؟ أم هل هي دعوة لنبحث عن أشكال جديدة للكليم منطلقاً من البحوث الرقمية؟ وكأننا بهذا التناول نسعى إلى طمس خصوصيات الموروث تحت شعار (مواكبة العصر الفني). فالمواكبة تتطلب التحرر من المألوف والانعقاد من الموروث ولكن لا ضير في إدخال تغييرات في البنية واللون ودمج اليدوي بالرقمي، ونذكر في هذا السياق تجربة الفنانة (لويز لاميراند) "تنسخ أعمالها الرقمية مستغلة أساليب فنية مستحدثة على محامل متفاوتة الأحجام وتخترقها بواسطة الوسائط التقليدية. فيكون عملها قائماً على مرحلتين هامتين بتقنية مزدوجة: الأولى

بالحاسوب مستغلة الفأرة ولوحة الأزرار والثانية مباشرة باللون والفرشاة. يمكن اعتبار تجربتها التشكيلية متوافقة بين العقل، الفعل البشري والوسيط الإلكتروني الذين يربط بينهم العقل الأدا تي الذي يعبر عنه بالتقنية. تجمع تجربتها الفن الرقمي والفن اليدوي فبرزت خصائصهما التشكيلية متجاورة ومتراكبة فيما بينها في توافق وانسجام حتى أن المتلقي يعجز عن فصلهما" (HananA, 2020).

ان الفن الرقمي كغير من التقنيات الفنية يحمل وجهات فنية مختلفة في أسلوب العمل والتنفيذ والإخراج، من الجانب الشكلي والتوزيع اللوني واختيار منطلق العمل، وهي وجهات فنية تسعى إلى خلق لغة تشكيلية عصرية قوامها مزج الوسيط الغلكتروني بالعقل الفني البشري.

## 2. تجربة الفنانة التونسية فدوى دقدوق: منسوجات بإيحاءات رقمية

فدوى دقدوق فنانة تونسية تعد من بين التجارب الفنية الرائدة في فن النسيج، لها صبغة ذاتية في تناول هذه التقنية، ما يشد في تجربتها المضمون والإخراج، فرغم أن أعمالها تعتمد على الصوف والقطن والحريز وفي بعض التجارب قد تتطلب المنسوجة دمج خامات مختلفة وتقنيات متنوعة كالعقدة والخيطن إلا أننا عندما نقف أمام الشكل النهائي يوهمننا وكأننا أمام صورة رقمية، والذي يضعنا في دوامة الوهم التكوينات والتقسيمات المختلفة والألوان المتناثرة والتشابكات الخطية والكتل اللونية والخطوط اللونية والملاء والفراغ والنظام واللائظام ورموز مهندسة تكاد ترى وكأن الفنانة تخفيها لتجعلها جزءاً من الألوان أو من خلفية العمل وذلك بحسب ما نشاهده في أعمالها.



الصورة عدد 10، فدوى دقدوق *Paysage croisé*

الصورة عدد 9، فدوى دقدوق *Désenchantée*

نسيج مسطح، صوف 120\*185سم، نسيج مسطح، صوف وقطن 75\*75 سم (\*4) *Polyptyque*

<http://www.myportail.com> › actualit

في هذا الأسلوب التشكيلي تدعونا أعمالها "لأن نعيش حياتنا في فننا، كما أن نمارس بحس ثوري وأن نعبر عن مشاعرنا في صورة تتحقق فيها صفات الفن الأصيل ومقاييسه وقيمه الإنسانية، وأن نمارس تجاربنا الفنية بحس ثوري وان نعبر عن مشاعرنا في صورة تتحقق فيها صفات الفن الأصيل ومقاييسه وقيمه الإنسانية وأن نمارس تلك التجارب عن معايشة فعلية للأحداث وعن إحساس عميق بإرادة الحياة" (Mustafa, 2001: 119).

تتجاوز الفنانة بأسلوبها الذاتي الشكل التقليدي والمألوف للمنسوجة فلم تستلهم من الموروث غير بعض خصوصيات تقنية النسيج كالنسج والعقد غلا أنها عمدت إلى استحضار مقومات الطابع الرقمي، ولعل الدافع الرئيسي وراء هذه الإيحاءات إدماجها لتقنية التصوير الفوتوغرافي لأعمالها فقد "اتخذت فدوى دقدوق الصورة الرقمية كآلية لإنتاج عمل فني منسوجي... فاستغلت الحاسوب بمختلف أنواعه في توظيف متنوع بلمسات سحرية شتى لا تقل أهميتها عن التعبيرات التشكيلية المألوفة. هذا ما أدى إلى تعدد مجالات الفنانة الفكرية... من خلال ما فتحه مجال التكنولوجيا من إمكانات تعبيرية سمحت بظهور أعمال مختلفة ومتنوعة" (Al-Sharmi, 2015).

اتسمت تجربة فدوى دقدوق في النسيج بالتفرد، ولا يعبرُ حضور الطابع الرقمي عن اتكائها على

الوسائط الرقمية بل جعلت منها مرجعا لأعمالها لا منطلقا لها من خلال استلهاها لخصوصيات التطبيقات التكنولوجية، لذلك توجي وكأنها صور رقمية.

وبالعودة إلى طبيعة تلك الأعمال نشاهد حضورا لمقومات المنسوجة الفنية من تقنية النسيج إلى العقد والملمس الخشن والناعم نتيجة لدمج الحرير والصوف والخيوط المعقودة التي أحدثت تنوعات بارزة وأخرى غائرة، إلى جانب الملاء والفراغ "فمع الفنانة فدوى دقدوق مثل الربط والعقد عموما مرجعا لممارسة تشكيلية... قوة القطن والكتان المعقودة والملوية والمطوية التي يحولها الفنان إلى أشكال" (Al-Sharmi, 2015).

بيّنت تجربة دقدوق قدرة الفعل النسجي على التأقلم ومسايرة الركب، وأن دقة العمل تجعل المتلقي أمام مبحث فكري جديد يستدعي التدبر والتأمل في التقنية كموروث وطني وعربي قادرة على استيعاب تمثلات الفنان، ومدى أهمية هذا الموروث في ترسيخ معاني الهوية ليوأكب التحولات العالمية في الفن وضرورة العمل على تطويره ونشره والمحافظة عليه من الاندثار. "هكذا يطرح موضوع التكنولوجيا فرصة للإبداع وكتقنية فاتحة لأفاق ولطرق إعادة تمثيل مغايرة للعمل الفني والمنسوجة، وذلك من خلال اعتبار الصورة الرقمية ليست مجرد وسيلة توثيق، وإنما كآلية فعالة تتدخل في إنتاج العمل الفني" (Al-Sharmi, 2015).

لقد قدم الفن الرقمي حولا ووسع حلقات البحث وساهم في إثراء الخطاب التشكيلي، إلا أنه أحدث أزمة فنية وساهم في إدراج أسماء فنية يعتبرهم البعض دخلاء على الميدان بل وخلق تجارب فنية تكاد تتشابه في التكوين والشكل، ليجعل المتلقي أمام متاهة الفكر الفني، فأزمة الفن الرقمي تتلخص في كيفية المحافظة على التفرد التشكيلي والعمل على مواكبة التطور التكنولوجي في الآن ذاته، وكيف نحول الأزمة إلى إرث ثقافي؟ يعد الفن التشكيلي مطية كل فنان ليبلغ رسالاته وآراءه ويحافظ من خلاله على إرثه الثقافي وينشر به تصوراته الفكرية لأنه "لا وجود لفكرة أو تصور نابع من لا شيء بل بالعكس كل صورة لها مهما كانت غريبة هي ذات أساس له وجوده وكيانه" (Saheb,2004:157).

وبذلك تظل مسألة ترسيخ الهوية في الفنون من أهم المسائل التي تجب إثارها والبحث فيها لما تواجهه اليوم من تحديات نتيجة التطورات التكنولوجية والتجارب الفنية الحديثة المنادية بضرورة تجاوز مسألة الأصالة والمعاصرة وتدعو إلى التجريد وطمس المعاني التراثية المألوفة، التي كلما تأملنا فيها وجدنا أنها المعين الذي نغترف منه ونسعى إلى ربطه بالحاضر، فيدفعنا الحنين إلى تأمل ما تركه أجدادنا من إرث ثقافي ومادي، لنبحث في سحر جمالية فلسفة فنية رسمها أجدادنا بالخيوط والألوان، لتتوارثها الأجيال دون ملل بل بترحاب وفضول لمعرفة أكثر تفاصيل حول تراث قابل للتأقلم والانفتاح والصمود أمام ما يواجهه من تحديات فنية عالمية. "إن التراث ليس كيانا ثابتا موجودا هناك، بل إن التراث يسير معنا في رحلة الزمان ولا مفر من أن نعمل على ربطه بحاضرنا وتوظيفه كقوة توجه حياتنا" (Al-Bahnsi, 1997: 102).

#### النتائج ومناقشتها

أوصلتنا هذه الدراسة إلى عدة نتائج أهمها:

1. إن استمرار وحضور الهوية في العمل التشكيلي هو فعل فني مشترك. وإن كل عمل تشكيلي هو رؤية جديدة وتصور آخر لمعنى الأصالة في ربوع الحاضر، وإن التقنيات الحديثة لم تكن يوما عائقا أمام التجسيد الفني لها، بل أثبتت طواعيتها واستجابتها لكل التصورات الفكرية المعاصرة.
2. استجابة الفعل النسجي لمتغيرات العصر وقدرته على الثبات والمحافظة على الهوية.
3. المجال الرقمي فضاء قادر على إثراء الخطاب الفني.
4. الاستفادة من الفضاءات الرقمية لنشر الأبعاد الجمالية والفكرية للهوية العربية.

### النتائج العامة والدراسة

1. طواعية الفن لمتغيرات العصر.
2. انفتاح الماضي على الحاضر واستجابته للفكر الرقمي.
3. الثراء الرقمي يوسع مجال التصور الفني.
4. الأثر الفني قادر على الاستجابة والتفاعل مع تصورات الفنان ومتطلبات العصر.
5. التقاء الأصالة بالمعاصرة يخلق تصورا جديدا للعمل الفني ويثري الخطاب التشكيلي.
6. العملية الإبداعية لا تتحقق فقط من خلال الانفتاح على الفن الغربي بل هي عملية شاملة ومواكبة لكل المتغيرات.

### توصيات الدراسة

1. ضرورة الحذر من مغريات الحداثة التي قد تنسينا جمالية الفعل الفني اليدوي.
2. الحذر من الوقوع في الوهم الرقمي، فبعض التصورات الرقمية قد لا يمكن تحقيقها واقعا.
3. تأصيل الهوية ضمن البحث الرقمي الفني
4. ضرورة اطلاع الفنان على جميع الحضارات واكتشاف الأبعاد الجمالية والفكرية للتراث العربي والبحث في كيفية الاستفادة منه.

### الهوامش:

- 1 ونعني بالغبربة "الزمنكانية" أن لا يكون العمل الفني دخيلا على الزمان الفني ولا في إطاره الفضائي الذي يوضع فيه يجب أن يتأقلم مع زمانه ومكانه.
- 2 إن فالتر بنيامين، قد كتب منذ عام ١٩٣٦ أن الصورة الفوتوغرافية والفيلم سينتوفقان مع الوعي الحديث أكثر من فن الرسم الذي يبدو أنه مازال مصابا بهالة مصداقية دينية قديمة، وعليه، كان السؤال هنا يتعلق بوظائف الفن ووسائله، وهو سؤال لم يخدم منذ ذلك الحين على الساحة الفنية. (بلتينغ، ٢٠١٢م: ٢٢).

Sources and references

المصادر والمراجع

1. أمهز، محمود، (1996): *التيارات الفنية المعاصرة*، شركة المطبوعات للتوزيع والنشر، بيروت.
- Amhaz, Mahmoud, 1996. *Contemporary Art Currents*, Printing Company for Distribution and Publishing, Beirut
2. أيوب، عبد الرحمان، (1997): *الأدب الشعبيية والتحوليات التاريخية والاجتماعية*، مجلة الفكر العدد الأول، الكويت.
- Ayoub (Abdul Rahman), 1997. *Folk Literature and Historical and Social Transformations*, Thought Magazine Issue I. Kuwait
3. شوقي، إسماعيل، (2012): *الوسائط المتعددة وإمكانية استثمارها في تصميم تكوينات ولوحات زخرفية تعتمد على سلويت الرأس الأدمي والخط واللون* " معرض منظر، كلية الفنون الجميلة، نقلا عن إيناس عبد الرؤف سيد أحمد. المؤثرات الحركية للتصميم الرقمي كمدخل للوحة الزخرفية المعاصرة"، رسالة ماجستير، كلية التربية الفنية، ج حلوان.
- Ismail Shawky. (2012): *Multimedia and the possibility of investing in the design of decorative compositions and paintings based on the lines of the human head, calligraphy and color" Exhibition View*, Faculty of Fine Arts, quoted by Inas Abdul Rauf Sayed Ahmed: Kinetic Effects of Digital Design as an entry point for contemporary decorative painting" Master's Letter, Faculty of Art Education, Helwan University
4. البهنسي، عفيف، (2004): *علم الجمال وقراءة النص الفني*، دار الشرق، دمشق.
- Al-Bahnsi, Afif,(2004): *Aesthetics and Reading the Artistic Text*, Dar al-Sharq, Damascus,
5. البهنسي، عفيف، (1997): *العمران الثقافي بين التراث والقومية*، دار الكتاب العربي، ط1.
- Al-Bahnsi (Afif), 1997, *Cultural Urbanization between Heritage and Nationalism*, Arab Book House, First Edition
6. البهنسي، عفيف، (2004): *خطاب الأصالة في الفن والعمارة*، دار الشرق للنشر، الطبعة الأولى.
- Al-Bahnsi (Afif), 2004, *Speech of Authenticity in Art and Architecture*, Orient Publishing House, First Edition
7. برتليمي، جان. (2011): *بحث في علم الجمال*، ترجمة أنور عبد العزيز، القاهرة، المركز القومي للترجمة.
- Bertlemy (Jan), 2011, *Research in Aesthetics*, translated by Anwar Abdel Aziz, Cairo, National Translation Center.
8. بلتينغ، هانس، (2012): *نهاية تاريخ الفن*، ترجمة ناجي العونلي وإدريس الشوك، المركز الوطني للترجمة تونس، دار سيناترا للنشر.
- Belting (Hans), 2012, *End of Art History*, translated by Naji Al-Aouni and Idriss Thistle, National Translation Centre Tunisia, Sinatra Publishing House.
9. بن شيخة، أم الزين، (2014): *تحرير المحسوس*، دار الأمان، الطبعة الأولى.
- Ben Sheikha (Um al-Zain), 2014, *Editing by Al-Mahssos*, Dar al-Aman, First Edition
10. بيده، الحبيب، ومجموعة، (1988): *المفردة في الفنون التشكيلية*، وزارة الشؤون الثقافية، مركز الفن الحي لمدينة تونس.
- Bidah (habib) and a group of authors, 1988, *single in fine arts*, Ministry of Culture, Center for Living Art of Tunis.
11. ريكور، بول، (2011): *الانتقاد والاعتقاد*، ترجمة حسن العمراني، الدار البيضاء، المغرب، دار توبقال للنشر.
- Recor (Paul), 2011, *Criticism and Belief*, translated by Hassan Amrani, Casablanca, Morocco, Topkal Publishing House.
12. سعيد، جلال الدين، (2007): *معجم المصطلحات والشواهد الفلسفية*، دار الجنوب للنشر، تونس.
- Said (Jalaluddin), 2007, *Dictionary of Terminology and Philosophical Evidence*, South Publishing House, Tunisia.

13. سيد حسن، سعيد، (1992): التوظيف الجمالي للعلاقة بين الانعكاس الضوئي والخداع البصري في التصميمات ذات التأثير الحركي لطلاب كلية التربية الفنية"، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية التربية الفنية، جامعة حلوان.
- Sayed Hasan (Said) 1992: *Aesthetic employment of the relationship between photoverision and visual deception in kinetic designs for students of the Faculty of Technical Education*" Ph.D. Letter, Faculty of Technical Education, Helwan University
14. قويعة، خليل، (1998): إيقاع الحياة في منسوجات على الناصف الطرابلسي، جريدة الصباح، ٦ ماي.
- Quaya (Khalil), (1998): *Rhythm of Life in Textiles on Al-Nasif Trabelsi*, Al-Sabah Newspaper, May 6.
15. قويعة، خليل، (2007): تشكيل الرؤية تأملات من تجارب تشكيلية من تونس، تونس، المطابع الجديدة للجنوب.
- Quaya (Khalil), 2007, *Vision Formation Reflections from Formative Experiences from Tunisia, Tunisia*, New Printing Presses for the South.
16. مرزوق، محمد عبد العزيز، (1970): الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس، دار الثقافة للنشر والتوزيع.
- Marzouk (Mohamed Abdelaziz), 1970, *Islamic Decorative Arts in Morocco and Andalusia*, Culture Publishing and Distribution House
17. مصطفى، محمد عزت، (2001): ثورة الفن التشكيلي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- Mustafa (Mohammed Ezzat), 2001, *Fine Art Revolution*, Cairo, Egyptian General Book Authorit
18. مجموعة من المؤلفين، (2004): دراسات في بنية الفن، عمان، دار مكتبة الرائد العلمية، الطبعة الأولى.
- Collection of authors, (2004), *Studies in Art Architecture*, Amman, Al-Majed Scientific Library House, First Edition.
19. مكية الشرمي، (2015): مجلة الحضارة، الكترونية، عدد، 8.
- Makia Al-Sharmi, 92015): *Civilization Magazine*, Electronic, Issue 8.
20. لا كوست، جان، (ب-ت)، فلسفة الفن، ترجمة ريم أمين، عويدات للنشر، بيروت لبنان
- La Cost (Jan), (W. D): *Philosophy of Art*, Reem Amin Translation, Aweidat Publishing, Beirut, Lebanon
21. بجلتون، تيري، (2009): أوهام ما بعد الحداثة، ترجمة، منى سلام، مركز اللغات والترجمة، أكاديمية الفنون، وحدة الإصدارات والدراسات النقدية، القاهرة.
- Youjeloun Terry, 2009. *Postmodern Illusions*, Translation, Mona Salam, Language and Translation Center - Arts Academy, Critical Publications and Studies Unit, Cairo,
22. السيد، عليوه، (1985): الموهبة... هل هي علم أم فن أم قدرة؟ مجلة الفيصل، العدد ٩٨، ماي.
- SAID, Alioh, (1985): *Talent Is it science, art or ability?* Al Faisal Magazine, Issue 98, May
23. هنانة، بسمة، (2020): ثورة الوسيط الرقمي في التجارب التشكيلية المعاصرة، مجلة العلوم التربوية، ع2.
- HananA, Basma, (2020): *Digital Mediator Revolution in Contemporary Plastic Experiments*, Journal of Educational and Human Sciences, Issue 2.
24. Bregson (Henri). laughter chapter 3, the comic of character. www.ac-grendole.fr
25. William valentine baxter, 2004: *Physically- based modeling techniques for Interactive digital painting- Doctoral dissertati*
26. مقالات بموقع بوابتي تتناول مواضيع متعلقة ب: فدوى دقدوق... actualit...  
<http://www.myportail.com>
27. الفنانة المغربية فاطمة ملال: من نسج الزربية إلى الفن التشكيلي.  
<https://www.dw.com>
28. فنان مصري يبديع بورتريهات عربية على النسيج اليدوي - الشرق.  
<https://aawsat.com> > home > article
29. علي الطائي: أسعى إلى إبراز صورة الحضارة العراقية العريقة في أعمالي! مع-كتابات-علي-الطائي-أسعى-إلى-إبراز-ص/  
<https://kitabab>.
30. درغوثي، بسام، مجلة الحياة الثقافية، العدد ٢٥٥، نوفمبر ٢٠١٤، ١٧- ١٨.
31. عبد الحليم، هادية، الشرق الاوسط، ٢٤ جويلية ٢٠١٩.